



منهج الدكتور القرضاوي في العلاقات الخارجية مع الدول المسلمة في ظل السياسة الشرعية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية

صفي الله خطيبي الهروي¹

الدكتور حافظ أحمد حماد²

Abstract

This research paper investigates the approach of Dr. Yusuf al-*Qaradawi* in shaping foreign relations with Muslim countries within the framework of contemporary Islamic political jurisprudence (*al-siyāsah al-shar‘iyyah*). The study begins by introducing Dr. al-*Qaradawi*'s intellectual and scholarly background and his contributions to the renewal of Islamic political thought. His methodology is distinguished by a balanced integration of religious texts with the practical realities of the modern world.

The research employs a descriptive and analytical method, examining al-*Qaradawi*'s writings and positions on political issues through a critical lens grounded in both classical sources and contemporary needs. The paper focuses on al-*Qaradawi*'s classification of political matters into fixed principles (*thawābit*) and variable applications (*mutaghayyirāt*), emphasizing his commitment to connecting partial rulings to overarching objectives (*maqāṣid*) and moral foundations of Shariah. The core of the study explores al-*Qaradawi*'s vision for relations between Muslim states, advocating for unity, fraternity, mutual support, and the rejection of internal warfare. Key concepts include the sanctity of Muslim life and property, the principle of Islamic brotherhood, and the requirement of cooperation and solidarity between Muslim nations in global politics.

The findings highlight that Dr. al-*Qaradawi*'s methodology provides a flexible yet principled framework for political engagement that preserves Islamic values while allowing room for contextual adaptation. His approach underscores the relevance of Islamic legal theory in navigating modern political challenges and calls

¹ طالب الدكتوراة ، بقسم التفسير و علوم القرآن ، كلية أصول الدين ، الجامعة العالمية الإسلامية ، اسلام آباد .

² الأستاذ المساعد ، بكلية أصول الدين بقسم التفسير ،، كلية أصول الدين ، الجامعة العالمية الإسلامية ، اسلام آباد .

for further scholarly engagement with contemporary issues using the tools of Islamic jurisprudence.

Keywords: *Yusuf al-Qaradawi, Siyasah Shar'iyah, Maqāṣid al-Shari'ah, Islamic Foreign Policy*

التمهيد:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له من يضله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: إن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة، أنزله لهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وأوعدهم حفظه إلى يوم الساعة، وأنزل معه معلم يعلمهم طريق الهداية وأرشدهم إلى سبيل يصلهم إلى السعادة -صلي الله وعلى آله وصحبه وسلم-، الذي بلغنا الكتاب وبين للناس ما نزل إليهم من ربهم.

ازدادت حركة الاستدلال وتنزيل الآيات على الواقع بشكل ملموس مع بداية عصر الصحوة الإسلامية في ميدان أهل العلم والدعوة، بناء على الوعي بأهمية توجيه الناس بهدايات القرآن الكريم واكتشاف لطائفه وعجائبه تصديقاً لحقيقة الوحي وإعجازه، فصارت دراسة القرآن الكريم لا تتوقف على شرح مفردات الآيات وتحليلها، وإنما تحولت أكثر حيوية تعالج قضايا الواقع.

في هذا المقال سوف أقوم بتوفيق من الله تبارك وتعالى بتقديم دراسات معاصرة في كتابات فقيه من فقهاء عصرنا وهو الدكتور يوسف القرضاوي رحمه الله تعالى في جانب السياسة والقضايا السياسية المعاصرة نظراً إلى جهود الدكتور القرضاوي وطلباً لحاجة الوقت قصدت أن اكتب على الموضوع وجعلت عنوان بحثي : منهج الدكتور القرضاوي في العلاقات الخارجية مع الدول المسلمة في ظل السياسة الشرعية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية-

أولاً: نبذة عن المؤلف

اسمه الكامل يوسف بن عبد الله بن علي بن يوسف القرضاوي يُكنى بأبي محمد بأكبر أبنائه، يحدد السجل الرسمي مولده يوم (9 سبتمبر 1926 م – 1345 هـ)³ في قرية صفط تراب من محافظة الغربية، تقع بين مدينة طنطا والمحلة الكبرى، في جمهورية مصر العربية، يصف الشيخ قريته بأنها عريقة في القدم، وقد شرفت بقبر آخر الصحابي توفي في مصر، وهو عبدالله بن الحارث الزبيدي رضي الله عنه، كما يؤكد ذلك بما نص عليه ثقات المؤرخين⁴.

أ. أسرته

وأما عن أسرته: فأسرته كانت أسرة متدينة رفيقه الحال، يشتغل أفرادها بالزراعة والتجارة، وقد شاء الله أن يستأثر بوالده الذي لم ينجب سواه، وهو في الثانية من عمره، ولكنه عوضه عن الوالد بعم كريم تولى كفالته، وأحاطه من الرعاية بما يُفتقد لدى الكثير من الآباء، ووجد في أبناء العم إخوة، وقد اتسعت دائرة هذا العطف حوله حتى كان موضع الرعاية من سائر أقاربه، وفي ذلك يقول الشيخ: "كأن هذا كان تعويضاً من القدر عن يتي المبكر"⁵.

3 - أحمد معرج الندوي، اللحظة التاريخية في مسرحيات يوسف القرضاوي، مجلة الناطقين بغير اللغة العربية، (مصر: المؤسسة العربية للتربية والعلوم والأدب، 2022م)، ص: 126.

4 - محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، (مصر: دار الشواف، 1992م)، جلد: 1، ص: 461.

5 - انظر: محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، جلد: 1، ص: 461-462.

كانت حياته الاجتماعية والأسرية غامرة بالرفاه والبنين، تزوج ثلاث زوجات: إسعاد عبد الجواد عام (1958م)، وأنجب منها 3 أبناء و4 بنات. ثم تزوج من الجزائرية أسماء بن قادة فترة الثمانيات حين كانت طالبة في إحدى الجامعات الجزائرية. ثم تزوج من السيدة المغربية عائشة لمفنن عام (2012م)⁶.

ب: حياته العلمية

حفظ القرآن الكريم وأتقن أحكام تجويده وهو دون العاشرة من عمره ثم التحق الدكتور منذ نعومة أظفاره بالكتاب⁷ ثم التحق بمعاهد الأزهر الشريف فأتّم فيها دراسته الابتدائية والثانوية وكان دائماً في الطليعة، وكان ترتيبه في الشهادة الثانوية الثاني على المملكة المصرية، رغم ظروف اعتقاله في تلك الفترة⁸، ثم التحق بالمعهد الديني في مدينة طنطا⁹. ثم التحق القرضاوي بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ومنها حصل على الدراسات العربية العالية -الدكتوراه- سنة (1953م) وكان ترتيبه الأول بين زملائه وعددهم مائة وثمانون، ثم حصل على العالمية مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية بالأزهر سنة (1954م)، وكان ترتيبه الأول بين زملائه من خريجي الكليات الثلاث بالأزهر، وعددهم خمسمائة، وحصل على دبلوم معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية في تخصص اللغة والأدب سنة (1958م)، ثم حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين بالأزهر (1960م)، ثم حصل على الدكتوراه بإمتياز مع مرتبة الشرف الأولى من الكلية نفسها عام (1973م)¹⁰.

ه: وفاته

توفي الشيخ القرضاوي ظهر يوم الإثنين 26 سبتمبر (2022م)، ولم تذكر المصادر الرسمية تفصيل سبب الوفاة لكن يرجح أنه توفي بسبب الشيخوخة ومرض طويل الأمد.

د: مؤلفاته

نرى أن الدكتور القرضاوي من العلماء الذين عندهم الفهم لثوابت الدين وفكرة التجديد في المتغيرات فهو يجمع بين السلفية والتجديد وبين الأصالة والحداثة فيوازن بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر مبتعداً عن التعصب العمي أو الهوى المتبع¹¹، وألف الدكتور مجموعة من الكتب نافذة على 170 كتاباً؛ تناولت مجالات عدة؛ منها علوم القرآن والسنة، والفقه، والعقيدة، والدعوة، والفكر، والتصوف، والأدب (شعراً ومسرحاً)

6 - انظر: ويكيبيديا، ar.wikipedia.org.

7 - هي طريقة قديمة في التعليم، تكون في المساجد والزوايا، يتعلم فيها الطلاب اللغة والقرآن الكريم والحساب، <https://ar.wikipedia.org>.

8 - في وداع شقيق الروح وعلامة العصر الشيخ القرضاوي رحمه الله، لعلي محيي الدين القرة داغي، (القاهرة: دار الإصالة، 2022م)، ص: 51.

9 - فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، لحسين حلاوة، (الدوحة: دار الغرب الإسلامي، 2007م)، ص: 7.

10 - القرضاوي، يوسف بن عبد الله، ابن القرية والكتاب: ملامح سيرة ومسيرة، (القاهرة: دار الشروق، 2004م)، جلد: 2، ص: 231.

البيك، محمد صالح إبراهيم، ملامح الفكر التربوي الإسلامي في ضوء كتابات الشيخ القرضاوي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، (غزة: 2009م)، ص: 11.

11 - خلف، محسن علاوي، يوسف القرضاوي ورعايته للمقاصد الشرعية، مجلة الأنبار للعلوم الإسلامية، (العراق: جامعة الأنبار، المجلد: 3، العدد: 12، كانون الأول 2011م)، ص: 2083.

أولاً: في الفقه وأصول الفقه:

- 1- الحلال والحرام في الإسلام
- 2- فتاوى معاصرة
- 3- تيسير الفقه في ضوء القرآن والسنة
- 4- الاجتهاد في الشريعة الإسلامية
- 5- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية
- 6- من فقه الدولة في الإسلام
- 7- تيسير الفقه للمسلم المعاصر
- 8- الفتوى بين الانضباط والتسبب
- 9- عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية
- 10- الفقه الإسلامي بين الإصالة والتحديد
- 11- الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط
- 12- فقه الطهارة
- 13- فقه الصيام
- 14- موجبات تغير الفتوى في عصرنا
- 15- الفتاوى الشاذة معاييرها وتطبيقها وأسبابها وكيف نعالجها
- 16- جريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة النبوية
- 17- دراسات في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية

ثانياً: في العقيدة والتصوف

- 1- وجود الله
- 2- حقيقة التوحيد
- 3- التوكل
- 4- النية والإخلاص
- 5- الحياة الربانية والعلم
- 6- الورع والزهد
- 7- التحذير من العرف الخاطئ والتركيز على العقيدة

ثالثاً: في الاقتصاد الإسلامي

- 1- فقه الزكاة
- 2- مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام
- 3- بيع المربحة للأمر بالشراء
- 4- فوائد البنوك هي الربا الحرام
- 5- دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي
- 6- القواعد الحاكمة لفقه المعاملات

رابعاً: في علوم القرآن والسنة

- 1- الصبر في القرآن الكريم
- 2- العقل والعلم في القرآن الكريم
- 3- كيف نتعامل مع القرآن الكريم؟
- 4- كيف نتعامل مع السنة النبوية؟
- 5- المدخل لدراسة السنة النبوية
- 6- المنتقى من الترغيب والترهيب
- 7- السنة النبوية مصدراً للمعرفة والحضارة

خامساً: في الدعوة والتربية

- 1- ثقافة الداعية
- 2- التربية الإسلامية ومدرسة حسن البناء
- 3- الإخوان المسلمون سبعون عاماً في الدعوة والتربية
- 4- الرسول والعلم
- 5- الوقت في حياة المسلم
- 6- رسالة الإزهر بين الأمس واليوم والغد

سادساً: في ترشيد الصحوة والحركة الإسلامية

- 1- الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي
- 2- أين الخلل؟
- 3- أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة
- 4- الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه
- 5- الثقافة العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة
- 6- ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده
- 7- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي
- 8- شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان
- 9- الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم
- 10- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف
- 11- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم

سابعاً: إسلاميات عامة

- 1- الإيمان والحياة
- 2- العبادة في الإسلام
- 3- الخصائص العامة للإسلام
- 4- مدخل لمعرفة الإسلام
- 5- الإسلام حضارة الغد
- 6- الناس والحق

- 7 جيل النصر المنشود
- 8 قضايا معاصرة على بساط البحث

ثامناً: شخصيات إسلامية

- 1 الإمام الغزالي بين مادحيه وقادحيه
- 2 الشيخ الغزالي كما عرفته
- 3 نساء مؤمنات
- 4 الجويني إمام الحرمين بين المؤرخين: الذهبي والسبكي
- 5 مآثر الأعلام

تاسعاً: في الأدب والشعر

- 1 نفحات ولفحات (ديوان شعر)
- 2 المسلمون قادمون (ديوان شعر)
- 3 يوسف الصديق (مسرحية شعرية)
- 4 عالم وطاغية (مسرحية تاريخية)

عاشراً: محاضرات الدكتور القرضاوي

- 1 لماذا الإسلام
- 2 الإسلام الذي ندعو إليه
- 3 واجب الشباب المسلم
- 4 مسلمة الغد
- 5 الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير
- 6 قيمة الإنسان وغاية وجوده في الإسلام
- 7 لكي تنجح مؤسسة الزكاة في التطبيق المعاصر
- 8 التربية عند الإمام الشاطبي
- 9 مع المصطفى في بيته
- 10 السنة والبدعة
- 11 زواج المسير حقيقته وحكمه
- 12 الضوابط الشرعية لبناء المساجد
- 13 موقف الإسلام العقدي من كفر اليهود والنصارى و...

ز: الجوائز والأوسمة

وفي عام (2008م) حصل الدكتور الفقيه على المرتبة الثالثة من بين 20 شخصية؛ على قائمة أكثر المفكرين تأثيراً على مستوى العالم، وذلك في استطلاع أجرته مجلتا "فورين بوليسي" و"بروسبكت".

كما حصل الشيخ رحمه الله، على العديد من الجوائز، منها: جائزة البنك الإسلامي للتنمية في الاقتصاد الإسلامي لعام (1411هـ/1990م) وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية بالاشتراك في الدراسات الإسلامية لعام (1414هـ/1994م) وحصل على جائزة العطاء العلمي المتميز من رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا لعام (1966م) كما حصل على جائزة السلطان حسن البلقية (سلطان بروناي) في الفقه الإسلامي لعام (1997م).

ثانياً: دراسة في كتابات الدكتور القرضاوي حول السياسة الشرعية

نستطيع أن نلخص منهج القرضاوي في كتاباته حول السياسة الشرعية وتطبيق الآيات على الواقع السياسي المعاصر بأن الأمور المتعلقة بالسياسة الشرعية عنده ينقسم إلى قسمين: قسم ثابت وقسم متغير. والثوابت ما أكدت عليها القطعيات من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مما انعقد عليه إجماع الأمة، واستقر عليه أمرها علماً وعملاً، نظراً وتطبيقاً. ومثال ذلك قيام نظامها الفكري والتربوي والتشريعي على أساس العقيدة المتمثلة بالتوحيد والرسالة وإقامة الشعائر، ومرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية، والتسامح... والمتغيرات ما يدور الخلاف حولها دائماً، والدكتور القرضاوي دائماً يربط المتغيرات بالثوابت، ويرد المتشابهات إلى المحكمات، والجزئيات إلى الكليات، والفروع إلى الأصول، وهو الفقه الذي كان عليه الصحابة والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، ومن سار على دربهم من التابعين بإحسان.¹²

الأصول التي يتبعها الدكتور القرضاوي في الفكر السياسي

هنا نقتبس ما كتبه القرضاوي واصفاً منهجه في الفقه والاستنباط والفكر: "إن منهجي واضح، والحمد لله فلا أُلقي القول على عواهنه، ولا أقلد أحداً فيما أرى من رأي، لا من أئمتنا الأقدمين، ولا ممن اتخذهم الناس أئمة في عصرنا من الغربيين الذين غزت حضارتهم العالم، ومنه عالمنا الإسلامي، ومنهجي هو الاعتماد على النص الصحيح في ثبوته الصريح في دلالته، وربطه بالواقع المعيش -الواقع الحقيقي لا المتهوم- دون افتعال أو اعتساق، متعمداً أسلوب الموازنة والترجيح بالأدلة، رابطاً النصوص الجزئية بالمقاصد الكلية للإسلام وشريعته. ولم أعتمد فيما كتبت إلا على آية محكمة، أو حديث صحيح، أو دليل شرعي معتبر، أو منطق عقلي سليم، مسترشداً بأقوال من يعتد بهم من العلماء، ليشدوا أوزاري حتى لا أفق وحدي، لا على أن أقوالهم في ذاتها حجة، فلا حجة في قول البشر إلا قول رسول الله محمد عليه السلام الذي أرسله الله رحمة، ومنحة العصمة، وهدى به الأمة".¹³

المنهج المنشود للفقه السياسي المعاصر عند القرضاوي يقوم على أساسين:

- 1- الرجوع إلى الأصول وإلى أخذ الأحكام من ينابيعها الصافية، مع الاستفادة من تراث الفقه الإسلامي بكل مدارس ومذاهبه، وخارج المذاهب والمدارس، أعني فقه الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، الذين هم شيوخ أئمة المذاهب أو شيوخ شيوخهم.
- 2- معايشة الواقع المعاصر، والعمل على علاج مشكلاته من ما قدمته الشريعة الإسلامية، فإن من المؤكد أن الشريعة لا تهمل الواقع.

سمات الفكر السياسي عند القرضاوي

يعبر القرضاوي عن نفسه دائماً بأنه ينتهي إلى المدرسة الوسطية التجديدية في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر.

ولقد تميز الخطاب الفكري السياسي للقرضاوي بعدة سمات:

أولاً: ارتباط الدين بالسياسة وارتباط السياسة بالدين

¹² - القرضاوي، يوسف بن عبد الله القرضاوي، السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م)، ص. 8-9.

¹³ - القرضاوي، الدين والسياسة: تأصيل ورد شهادات، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2007م)، ص. 29.

ثانياً: الوسطية والاعتدال

ثالثاً: منهج التيسير والتدرج

رابعاً: التجديد في الفقه والفكر

خامساً: الدعوة إلى الوحدة بين المسلمين أنفسهم، والمسلمين وغيرهم

منهجية الدكتور القرضاوي في استنباط الأحكام

القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

كان المفروض أن اكتفي بذكر تعامله مع نصوص الكتاب لأنه يرتبط بعنواني ولا نذكر تعامله مع السنة ولكني ذكرت تعامله مع كلا المصدرين الأساسيين العظميين (القرآن الكريم والسنة الشريفة) تحت عنوان واحد؛ لارتباطهما ببعضهما، وباعتبارهما الأصلين الأولين للفكر السياسي عند القرضاوي، فمهما ينطلق القرضاوي بفكره السياسي، وفق فهم مبني على الاتباع، والنظر والاستنباط من دلالتهما الكلية والتفصيلية.

- أولاً: منهج القرضاوي في التعامل مع القرآن الكريم: ويسلك القرضاوي منهجاً في تعامله القرآن الكريم، من خلال الجمع بين الرواية والدراية، وتفسير القرآن الكريم بالقرآن الكريم، والقرآن الكريم بالسنة الشريفة، والانتفاع بتفسير الصحابة والتابعين والأخذ بمطلق اللغة، ومراعاة السياق، وأسباب النزول، واعتبار القرآن الكريم أصلاً يُرجع إليه، فهو متبوع لا تابع، ويطبق الآيات على واقع عصره السياسي، كما يبين في كتابه " كيف نتعامل مع القرآن العظيم".

- ثانياً: منهج القرضاوي في التعامل مع السنة النبوية: يقوم على فهم السنة الشريفة في ضوء القرآن الكريم، وفهم الأحاديث الشريفة في ضوء أسبابها وملامساتها، والتمييز بين الوسيلة المتغيرة والهدف الثابت للحديث الشريف، والتفريق بين الحقيقة والمجاز، والتفريق بين الغيب والشهادة، والتأكد من مدلولات ألفاظ الحديث الشريف. وهذا كما يظهر في كتبه المتعلقة بالسنة النبوية الشريفة؛ مثل: مدخل لدراسة السنة النبوية"، و"كيف نتعامل مع السنة النبوية معالم وضوابط"، و"السنة مصدراً للمعرفة والحضارة".¹⁴

ثالثاً: منهج الدكتور القرضاوي في العلاقات الخارجية مع الدول المسلمة في ظل السياسة الشرعية المعاصرة
تنبني العلاقات الخارجية المعاصرة مع دول المسلمة في ظل السياسة الشرعية عند الدكتور القرضاوي على عدة أصول يستنبطها من القرآن والسنة منها:

أولاً: أصل العلاقة مع دول المسلمة (أهل دار الإسلام)

يرى الشيخ يوسف القرضاوي إن تقسيم العالم إلى دار الإسلام ودار الحرب ما زال له مجال في عالم اليوم، وإن العالم يوزع في ثلاثة دور، وهي دار الإسلام، ودار الحرب، ودار العهد، فجميع البلاد التي تسعى الآن (البلاد الإسلامية) والتي تسكنها غالبية مسلمة تعدّ كلها من دار الإسلام و إن كان بعضها لا يحتكم في كل أموره إلى شريعة الإسلام بل ربما أعلن بعضها العلمانية جهاراً، مثل تركيا، منذ حكمها كمال أتاتورك.¹⁵

¹⁴ - القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1990م). القرضاوي، السنة مصدراً للمعرفة والحضارة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997م).

15 - مصطفى كمال المعروف بـ "الغازي" أتاتورك، وهو الذي ألغى الخلافة الإسلامية سنة (1343هـ = 1924م)، وُلد في مدينة سالونيك باليونان سنة (1299هـ = 1880م)، وكانت آنذاك تابعة للدولة العثمانية. التحق بالمدرسة العسكرية في سن الثانية عشرة، وعُرف باستبداده وقمعه للمعارضين؛ حيث أغلق الصحف، واعتقل رؤساء تحريرها، وفرض رقابة

وحسبنا: إن هذه البلاد إسلامية الأصل والتاريخ، وإن سكانها مسلمون في أغليتهم على الأقل، وإن شعائر الإسلام ومظاهره الدينية والاجتماعية لم تزل معلنة وظاهرة، مثل الأذان وتلاوة القرآن والمساجد، والجمعة والجماعات والأعياد الإسلامية والإعلان بصيام رمضان، وإتاحة الفرصة للحج كل عام، وتغسيل الميت وتكفينه ودفنه في مقابر المسلمين، وغيرها. كون إن أكثر البلاد الإسلامية يعلن في دستورها إن الإسلام هو دين الدولة، أو أن الشريعة مصدر رئيس إن سائر العالم بالنسبة لنا، يعد دار عهد، فيما عدا دولة الكيان الصهيوني «إسرائيل». فنحن نرتبط مع هذا العالم من حولنا (بميثاق الأمم المتحدة)¹⁶.

ولكن متى تصير الدار دار إسلام، ومتى تصير دار حرب؟ اختلف الفقهاء اختلافا كثيرا في تحديد دار الإسلام، ودار الحرب، لا أطيل فيه ههنا؛ لكن أغلبهم اتفقوا في أن (دار الإسلام) هي الدار التي تتوافر فيها الشروط الآتية:

1- أن تكون السلطة والمتعة فيها للمسلمين، وإن لم يكن جل سكانها مسلمين، بل قال بعضهم: ولو لم يكن فيها مسلمون غير الحكام.

2- أن تظهر فيها أحكام الإسلام وشعائره، ولو جزئيا، مثل أحكام الأسرة والأحوال الشخصية، وظهور شعائر الإسلام مثل: بناء المساجد، وإقامة الجمع والجماعات، وصيام رمضان، ونحو ذلك من الشعائر، وهذا من أهم الشروط وأبرزها، حتى قال الإمام أبو يوسف: (تعتبر الدار دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها، وإن كان جل أهلها من الكفار، وتعتبر الدار دار كفر بظهور أحكام الكفر فيها، وإن كان جل أهلها من المسلمين)¹⁷.

3- أن يأمن المسلمون فيها على أنفسهم بحكم إسلامهم، وأهل الذمة بمقتضى عقد ذمتهم¹⁸.

ثانياً: وحدة الأمة الإسلامية وعدم التفرق¹⁹:

ينقسم الوحدة للأمة الإسلامية عند الدكتور القرضاوي إلى ثلاثة أقسام هي:

1 - وحدة المرجعية، وهي الشريعة الإسلامية.

2 - وحدة الدار، أي: دار الإسلام. فهي دار واحدة وإن اختلفت الأوطان.

3- وحدة القيادة، الممثلة في الخليفة والإمام الأعظم، الذي يمثل الوحدة السياسية للأمة.

ثم يبين وحدة أهل الكفر وتفرق أهل الإيمان: ولقد رأينا غير المسلمين يتجمعون ويتوحدون، على الرغم من وجود أسباب كثيرة للخلاف بينهم، بعضها تاريخي، وبعضها واقعي، كما رأينا في الاتحاد الأوروبي²⁰، الذي حدث بين بلاده بعضها وبعض

صارمة على العلماء. تُوفي سنة (1357هـ = 1938م). انظر: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، (بيروت: دار سفير، بدون تاريخ)، جلد: 10، ص: 571.

16 - القرضاوي، يوسف بن عبد الله، فقه الجهاد: دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، (القاهرة: مكتبة وهبة، 2010م)، ط: 4، مجلد: 2، ص: 870-895.

17 - السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، (القاهرة: مطبعة السعادة، بدون تاريخ)، جلد: 10، ص: 144.

18 - السرخسي، شرح السير الكبير، (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ)، جلد: 3، ص: 81-الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ)، جلد: 7، ص: 130-المواردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ)، ص: 133، 151، 166.

19 - انظر: فقه الجهاد للدكتور القرضاوي، ص 1075، و 1093-1094.

20 - الاتحاد الأوروبي: هو اتحاد اقتصادي و سياسي بين 27 دولة أوروبية تأسس سنة 1993 بمعاهدة ماستريخت التي خدت مكان السوق الأوروبي المشترك التي كانت موجودة من قبل. بعدد سكانه التي فوق الـ 447 مليون إنسان. الاتحاد

حروب وحروب، آخرها الحربان العالميتان²¹، اللتان سقط فيهما ملايين الضحايا، ومع هذا طرحوا هذه المآسي وراءهم ظهريا، ووجدوا مصلحتهم الكبرى في أن يتحدوا.

وقبل ذلك رأينا التقارب بين المذاهب أو الكنائس المسيحية بعضها وبعض، وبين المسيحية عموما واليهودية، برغم العداء التاريخي بينهما، حتى أصدر الفاتكان وثيقته الشهيرة بتبرئة اليهود من دم المسيح!

والمسلمون -وحدهم- هم الذين يختلفون ويتنازعون بعضهم مع بعض، مع توافر الكثير من أسباب الوحدة بينهم، وحسبهم أنهم جميعا من أهل القبلة، وأنهم جميعا من أهل (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، وأنهم جميعا رضوا بالله ربا، وبالإسلام ديننا، وبالقرآن إماما، وبمحمد صلى الله عليه وسلم، نبيا ورسولا.

ويذكر أمثلة لحرص الأنبياء على الوحدة لأمتهم منهم حرص هارون عليه السلام على وحدة الجماعة؛ ولقد ذكر القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام: حادثة فيها تبصرة وعبرة لأولي الأبصار، وهي قصة هارون عليه السلام مع قومه، حين ذهب موسى إلى مناجاة ربه أربعين ليلة، فأضلهم السامري، وأخرج لهم عجلا جسدا له خوار، فقال: هذا إلهكم وإله موسى. وأطاعه القوم وعبدوا العجل، الذي لا يرجع إليهم قولا، ولا بملك لهم ضرا ولا نفعا، ولا يهديهم سبيلا، وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقُومُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ بِإِنْسَانٍ رُبِّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي، قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَكْفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى²².

ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا لما فعلوه في غيبته، وألقى ألواح التوراة في الأرض غضبا لله وللحق، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، قائلا له: قَالَ يَهُرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا، أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي، قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي²³ وقد رضي موسى بهذا الجواب من أخيه، وأقره القرآن الكريم، فدل على أن ما رعاه هارون أمر له اعتباره في ميزان الدين، وهو: الحرص على وحدة الجماعة، حتى لا تتمزق، والسكوت على منكر كبير، بل هو أكبر منكر - وهو الإشراك بالله تعالى بعبادة غيره سبحانه - حرصا على وحدة الجماعة، وهو قطعا سكوت مؤقت، حتى يرجع موسى من رحلته، ويتفاهم الأخوان معما في علاج الموقف الخطير بما يلائمه. إن توحيد الأمة الإسلامية مطلوب في كل حين، وهو أشد ما يكون طلبا في هذه المرحلة العصبية من تاريخ أمتنا. فاتحادها فريضة وضرورة، فريضة يوجيها الدين، وضرورة يحتمها الواقع الإسلامي، والواقع العالمي. فالاتحاد قوة لها، والتفريق يجعلها ضحية سهلة يمكن للأعداء أن يأكلوها قطعة قطعة.

ثالثا: علاقة الأخوة الإيمانية²⁴:

فهذا هو الأصل الأصيل في علاقة المسلمين بعضهم ببعض: علاقة إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ²⁵، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا²⁶.

الأوروبي يساهم بنسبة 30% من إجمالي الانتاج في العالم (16.8 تريليون دولار أمريكي في 2007). اتطور الاتحاد الأوروبي كوحدة اقتصادية من في تطبيق قوانين موحدة على كل الدول الأعضاء، القوانين تتضمن حرية الحركة للناس، للبضائع، للخدمات ولراس المال. في سبعة عشر دولة، العملة الموحدة للاتحاد (اليورو) الاتحاد الأوروبي عمل مجموعة سياسات للتجارة المشتركة و سياسات للزراعة و لصيد السمك. انظر: <https://arz.m.wikipedia.org/wiki>.

21 - انظر: <https://arz.m.wikipedia.org/wiki>.

22 - القرآن: 20، 90-91.

23 - القرآن: 20، 92-94.

24 - انظر: فقه الجهاد للدكتور القرضاوي، ص 1067-1068.

25 - القرآن: 49، 10.

26 - القرآن: 3، 103.

والأخوة تقتضي: المحبة والمساواة والتعاون والتناصر والتكافل، وتناقض التعادي والتباغض والتقاطع، ناهيك بالتهارش والتقاتل، وأن يسلوا السيوف بعضهم على بعض، ولذا قال في الحديث الصحيح: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا (يقاطع بعضكم بعضاً)، وكونوا عباد الله إخواناً»²⁷.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة منها: قول رسول الله عليه السلام: «المسلم أخو المسلم»²⁸، وفي حديث آخر اعتبر الرسول الكريم عليه السلام الحسد والبغضاء (داء الأمم)، وشدد التحذير من شرها وشرورها، فقال: «دب إليكم داء الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين!»²⁹. وقال: «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً»³⁰، وشبك بين أصابعه. وقال: «تري المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد...»³¹.

رابعاً: مبدأ المساواة بين أبناء دار الإسلام³²:

تطبيق مبدأ المساواة على الجميع، وعدم تمييز المسلم على غير المسلم في مجالات معينة، هذا أصل في الإسلام لأن في حين أن المواطنة تفترض المساواة بين جميع المواطنين.

ولهذا يلزمنا الفقهاء: أن نقرر فكرة المساواة بين أبناء دار الإسلام على أساس مبدأ: لهم ما لنا، وعليهم ما علينا. ولا تمييز بين أهل دار الإسلام إلا فيما تقتضيه طبيعة الخلاف الديني. (لانطيل الكلام حول هذا الأصل هنا لأننا بيناه في أصول العلاقات الدولية في الإسلام).

خامساً: حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم³³:

الأصل في القتال الإسلامي هو القتال بين المسلمين وغيرهم من الأمم، من ذري الملل والنحل المخالفة، أو ممن لا يؤمنون بالذين أصلاً من الماديين والملاحدة الجاحدين للألوهية والنبوة والجزاء في الآخرة، مما يمكن أن نطلق عليه: (القتال الخارجي)، أي: خارج الدائرة الإسلامية. ومن القتال الداخلي الممنوع شرعاً: اقتتال البلاد الإسلامية، أو الدول القطرية الإسلامية بعضها مع بعض، كما نرى في زمننا هذا، بعد أن سقطت الخلافة الإسلامية، وانفرط عقد الوحدة الإسلامية.

27 - أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث 2442، ج 3، ص 128، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم، رقم الحديث 2564، ج 8، ص 10،

28 - بخاري، أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم الحديث 481، ج 1، ص 103، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاوضهم، رقم الحديث 2585، ج 8، ص 20.

29 - رواه أحمد، باب: مسند الزبير بن العوام، رقم الحديث 1412، ج 3، ص 29.

30 - أخرجه البخاري، باب: رحمة الناس واليهائم، رقم الحديث 6011، ج 8، ص 10، ومسلم، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاوضهم، رقم الحديث 2586، ج 8، ص 20.

31 - متفق عليه.

32 - انظر: فقه الجهاد للدكتور القرضاوي، ص 1046-1048.

33 - انظر: فقه الجهاد للدكتور القرضاوي، ص 1064-1065.

وأما (القتال الداخلي) أو (القتال داخل الدائرة الإسلامية)، وهو القتال بين المسلمين بعضهم وبعض، والأصل الثابت بيقين لا شك فيه، ولا خلاف عليه: أن دم المسلم على المسلم حرام، كما جاء في الحديث: «أكل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرض»³⁴، وأن قتال المسلم لأخيه المسلم من كبائر الإثم، التي قد تؤدي إلى الكفر، وأن هذا ما شدد فيه القرآن الكريم، والسنة النبوية. ولهذا أكد النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع حرمة الدماء والأموال والأعراض، روى عنه أبو بكر أنه قال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ليلبلغ الشاهد الغائب»³⁵.

وأن اقتتال المسلمين بعضهم مع بعض: أمر يرفضه الإسلام، وينكره أشد الإنكار، لأنه ينافي (الأخوة الإسلامية) القائمة على أساس الإيمان: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ³⁶، فجعل الأخوة صنو الإيمان. وهذه الأخوة، تقتضي تكافل المسلمين وتعاونهم وتناصرهم في السلم والحرب، ردأن يكونوا يدا على من سواهم، لا أن يقاتل بعضهم بعضا، كما كان أهل الجاهلية يفعلون.

وحذر القرآن الكريم من كيد أعداء المسلمين ودسائسهم في تفريق صفوفهم، وإيغار صدورهم، وخصوصا من أهل الكتاب من اليهود وأمثالهم، فقال تعالى: يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيْبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ، يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ³⁷، ذكر في سبب نزول الآيات: أن يهوديا رأى الأوس والخزرج، وقد جمعتما أخوة الإسلام بعد ما كان بينهما من دماء وحروب وثورات استمرت زمنا طويلا، فغاض ذلك اليهودي، فأمر فتى شابا معه من يهود، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم ذكرهم يوم بعث، وما كان فيه من انتصار فريق على فريق. حتى استطاع أن يشعلها نارا، وأن يتنادوا: السلاح السلاح. وأن يقول رجال من الأوس: يا للأوس! ورجال من الخزرج: يا للخزرج! فخرج الرسول إليهم وهو يقول: أبدو عوى الجاهلية، وأنا بين اظهركم؟ دعوها فإنها منتنة». وذكرهم الله، وتلا عليهم القرآن، فبكى القوم وندموا، وتعانق الرجال من الأوس والخزرج، وعلموا أنها نزغة شيطان³⁸؛ وفي هذا السياق يفهم قوله تعالى: يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيْبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ³⁹، أي: بعد وحدتكم متفرقين، وبعد أخوتكم متعادين، فوضع كلمة الإيمان موضع كلمة الوحدة، وكلمة الكفر موضع كلمة الفرقة.

34 - مسلم ، رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم المسلم، رقم الحديث (2564)، ج8، ص10، وأحمد في المسند، رقم الحديث (7727)، ج13، ص159، وأبو داود في الأدب (4882)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٧)، وابن ماجه، باب: حرمة دم المؤمن وماله، رقم الحديث3933، ج5، ص430،

35 - بخارى ، رواه البخاري، كتاب العلم، باب: رب مبلغ أوعى من سامع، رقم الحديث67، ج1، ص24، ومسلم، كتاب القسامة، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم الحديث1679، ج5، ص107.

36 - القرآن: 49، 10 -

37 - القرآن: 3، 100-103 -

38 - انظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ)، جلد: 3، ص: 370 -

39 - القرآن: 3، 100 -

وقوله: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ⁴⁰، معناها: وكيف تنفرون وتتعدون وأنتم تتلى عليكم آيات الله ...

وبعد هذه الآيات التي حذر فيها القرآن من دسائس أهل الكتاب، وأمر فيها بالاعتصام بحبل الله جميعا: نرى عن التفرق والاختلاف نهيا صريحا، محذرا من اتباع سنن من قبلنا من الأمم، الذين اختلفوا وتفرقوا فهلكوا، فقال: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ⁴¹.

وهذا الاقتتال بين الدول أو البلاد الإسلامية بعضها وبعض له صور متعددة، كلها مرفوض في نظر عقيدة الإسلام، وشريعة الإسلام، وأخلاق الإسلام. نذكر منها: (قتال العصبية، قتال التنازع على الحدود الإقليمية، القتال على الملك، القتال المذهبي أو الطائفي).

سادسا: وجوب نصره المسلم وإعانتة في الشدائد:

والمطلوب من المسلم أن ينصر أخاه المسلم ويعينه في الشدائد، ويغيث لهفته، ويفرج كربته، ولا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله، كما صحت بذلك الأحاديث النبوية: والمسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يسلمه (أي لا يتخلى عنه)، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة⁴². «المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمهم أديانهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم»⁴³، وإذا كان المسلمون يدا واحدة على من سواهم، فكيف يرضون لأنفسهم أن يصبحوا أيديا مختلفة، ينازع بعضهم بعضا، بل يقتل بعضهم بعضا؟! بعضا؟!

ويقول عليه السلام: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما، قالوا: يا رسول الله ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما؟! قال: اتمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه»⁴⁴.

فإنك إذا أخذت على يده، ومنعته من ظلم غيره، فقد نصرته على هوى نفسه، ووسوسة شيطانه، وحميته من عواقب الظلم الذي يدمر عليه ديناه وآخرته.

فهذا شأن المسلم مع المسلم أبدا: أن ينصره على ظالمه إذا هو ظلم، وأن ينصره على نفسه وشيطانه إذا كان هو الظالم، ولا يدعه لغرائز الشر تتحكم فيه.

40 - القرآن: 3، 101-

41 - القرآن: 3، 105-106-

42 - بخاري، كتاب المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث 2442، ج 3، ص 128، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم المظالم، رقم الحديث 2580، ج 8، ص 18.

43 - أبو داود، رواه أبي داود، كتاب الجهاد، باب: في السرية ترد على أهل العسكر، رقم الحديث 2571، ج 3، ص 125، والنسائي، كتاب القسامة، باب: سقوط القود من المسلم للكافر، ج 8، ص 23.

44 - أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب: أعن أخاك ظالما أو مظلوما، رقم الحديث 2444، ج 3، ص 128، والترمذي، أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث 2255، ج 4، ص 106.

بل جاء في الحديث الصحيح: «بحسب امرئ من الشر: أن يحقر أخاه المسلم»⁴⁵. هذا فيمن يحقره، فكيف بمن يقاتله، وقد يقتله؟! وفي الحديث: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل امرئ مسلم بغير حق»⁴⁶.

هذا في قتل امرئ مسلم واحد، فكيف بمعركة بين المسلمين يقتل فيها الألوف؟! والأصل في النفوس البشرية العصمة، وفي الدماء البشرية الحرمه: بل الأصل الإسلامي في أنفوس البشر: العصمة، والأصل في الدماء البشرية عامة هو: الحرمه، ولذا قرر القرآن، مع كتب السماء: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا⁴⁷.

ولم يجز الإسلام من إراقة الدماء إلا ما اقتضته الضرورة، وأوجبته مصلحة الخلق، ودفع الشر والفساد عنهم. مثل: القصاص من القاتل المتعمد، ودفع الصائل، وقتال المعتدي حتى يرتدع عن عدوانه، ومدافعة الباغي حتى يرجع عن بغيه. ولم يجز من ذلك إلا بقدر ما تقتضيه الحكمة، وسنة التدافع: وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ⁴⁸.

النتائج:

أحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل صالحاً ولوجهه خالصاً، ولا يجعل لأحد فيه شيئاً، وفي ختام هذا البحث أشير إلى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث وهي كالتالي:

- 1 - أهمية ما قدمه الدكتور يوسف القرضاوي من جهود في علم السياسة الشرعية، وطريقة تعامله مع النصوص الكريمة، ومنهجه الاستنباطي الوسطي الحكيم، فيما يخدم المسلمين ودولتهم الإسلامية، بما يتوافق مع روح رسالتها المهداة رحمة للعالمين.
- 2 - أن الشريعة الإسلامية شاملة وكاملة تشمل جميع أنحاء الحياة الدنيوية والأخروية، فالإسلام رسالة لكل الحياة.
- 3 - أن العلاقة بين الدين والسياسة علاقة وثيقة لاتنفصل أصلاً، فلا يكون الدين بلا السياسة ولا السياسة بلا الدين.
- 4 - أنشأ الإسلام دولة على أساس من عقيدته، وهي التي تحدد وجهة نظر الدولة للحياة والكون والإنسان، وإن عقيدة الإسلام هي عقيدة أركان الإيمان وعنها أنظمتها السياسية والاقتصادية ودستوره وقوانينه.
- 5 - إن السياسة الشرعية تتفق مع روح الشريعة الإسلامية وتقوم على مبادئها وأصولها العامة، وقواعدها الكلية التي يتوصل بها إلى مقاصد الشريعة من العدل وجلب المصالح ودفع المفاسد.
- 6 - إن الأصول التي تقوم عليها أحكام السياسة الشرعية مرنة على نحو يجعلها كفيلة بسد حاجات الأمة في الاجتهاد وبأحكام النوازل والمستجدات، الأمر الذي يؤكد فكرة تغير أحكام السياسة الشرعية من زمن إلى آخر، ومن مكان لآخر وفق مقتضيات الحكم والأحوال.
- 7 - إن السياسة الشرعية تشمل جميع مجالات وأنشطة الدولة، فتشمل شؤون الحكم، والإدارة، والاقتصاد، والقضاء، والسلم، وإعلان الحرب، والمعاهدات، وغيرها، مما تقرره الدولة من قوانين وأحكام، ونظم واجراءات،

45 - رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم، رقم الحديث 2564، ج 8، ص 10،

46 - رواه الترمذي، باب: ما جاء في تشديد قتل المؤمن، رقم الحديث 1395، ج 3، ص 69، والنسائي، باب: تعظيم الدم، رقم الحديث 3987، ج 7، ص 82، وابن ماجه، باب: تغليب في قتل مسلم ظلماً، رقم الحديث 2619، ج 4، ص 213.

47 - القرآن: 5، 32.

48 - القرآن: 2، 251.

وقرارات وترتيبات، وما تنشئه من مؤسسات؛ ولذا فهي: تدبير الأمر داخلا وخارجا وتعهد به بما يصلحه، سواء ورد بذلك نص بالنظر في مآله ودلالاته وموجب حكمه، أو لم يرد به نص أصلا.

8 - إن التغير في أحكام السياسة الشرعية ليس تغيرا في قطيعات الأحكام وثوابته، وإنما هو تغير في الأحكام المبنية على النصوص ظنية الدلالة أو الثبوت، أو النصوص التي تغير موجب الحكم بها، أو تلك التي بنيت على مصادر الأدلة فيما لم يرد فيه نص، كالمصالح المرسله، والقياس، والاستحسان، والاستصحاب، وسد الذرائع، والعرف، ملاحظة مآلات الأفعال، والقواعد التشريعية العامة، الأمر الذي تتميز به أحكام السياسة الشرعية عن غيرها من الأحكام.

9 - إن تغير أحكام السياسة الشرعية هو التحول في تدبير الأمر وتعهد به بما يصلحه من حكم إلى حكم آخر، وفقا للاستثناءات ومقتضيات ومستجدات التطبيقات وأحوالها وظروفها ومالاتها، بحيث تكون أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وهو تحول من حكم اجتهادي إلى حكم اجتهادي آخر وفقا لمقتضى الظروف والأحوال، لتحقيق مصالح العباد، وإدارة شؤونهم بما يحقق سعادتهم.

10 - المسلمون -ومن دخل في ذمتهم- أمة واحدة، لهم دولة واحدة فاذا وجدت لهم دول متعددة فينبغي العمل على توحيدها على أساس الإسلام.

11 - أول ما قرره الإسلام من العلاقة بين الدولة الإسلامية وغيرها أن تكون الدعوة الإسلامية محور هذه العلاقة، وشرع السلم معا، فإن لم يستجيبوا قاتلهم حتى يدينوا بدين الحق، أما الجهاد فقد شرع لرد الأذى ودفع العدوان، وكما شرع لنشر الدعوة وإزالة الحواجز المادية من الدول والجيوش والعقبات التي تقف أمام هذا النشر.

12 - قد نظم الإسلام أحوال الجهاد، وبين أنه لا يحل تركه إلا بأمان أو موادة وإذا بدئ المسلمون بالقتال فالقتال فرض عين، ووضع الإسلام من قوانين الحرب ما يمنع العدوان على العاجزين عن القتال، وقد وردت النصوص في النهي عن المثلة وقتل الشيوخ والصبيان والعجزة والعباد من الرهبان وغيرهم.

13 - المواولة بين الدولة الإسلامية وغيرها، وبين المسلمين وغيرهم غير جائزة إذا كانت توجب الرضا بكفر الدولة ونظامها المخالف للإسلام، أو الركون إلى الأعداء ونصرتهم على الباطل. أما المواولة بمعنى المعاشرة الجميلة والمعاملة الحسنة، مع اعتقاد بطلان ما يعتقدون فجاز إذا كان في ذلك مصلحة المسلمين.

14 - إذا اختلفت الدولة الإسلامية مع دول أخرى جاز التحكيم على أساس ما أقره الإسلام من قواعد.

15 - وضع الإسلام كيفية معاملة الأسرى بالحسنى، وإعادتهم إلى دولتهم وعدم استرقاقهم إذا كانت الدولة الأخرى تقر هذه المعاملة بالمثل، أما إذا كانت ترى استرقاقهم فالإسلام يبيح الاسترقاق، وإلا فالمن والفداء.

التوصيات:

ومن التوصيات المتعلقة بالبحث:

1- إدراج الكتب الإسلامية المعاصرة المكتوبة في الجانب السياسة الشرعية ضمن المقررات الدراسية لكليات الشريعة والدراسات الإسلامية، لأن عند كثير من المعاصرين يعتبر السياسة الشرعية علما مستقلا لكن ما اهتم به كما كان حقه.

2- أوصي الباحثين وطلبة العلم بالقيام بمزيد من الدراسات حول القضايا السياسية المعاصرة، وإظهار صورة الإسلام الوسطية والمعتدلة في الحكم، بعيدا عن الغلو والتفريط.

- 3- أوصي بإجراء دراسات أخرى حول اجتهادات علماء الإسلام المعاصرين، وآرائهم في السياسة الشرعية، الذين استنبطوا الأحكام الشرعية للوقائع والمستجدات السياسية التي جددت في عصرهم.
- 4- أوصي بإجراء دراسات عن السياسة الشرعية لأن باب السياسة الشرعية باب واسع جداً نستطيع استغلال الوسائل الحديثة وآلياتها في الحكم، في ضوء النصوص ومقاصدها، وكيفية السبيل إلى تحقيق الغايات العليا وفق الإمكانيات المتوفرة.
- 5- أوصي بدراسة الجانب السياسي في كتب الدكتور القرضاوي، لأن فيها كثير من مستجدات عصرنا. وفي الختام أقول الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتجاوز عني ما حصل من خطأ وغفلة وتقصير، وأن يجعل هذا العمل متقبلاً عنده محصلاً بمرضاته، والله أعلم وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.